

جُمَل العلم والعمل، كتابٌ في العقائد والأحكام من تأليف الشريف المرتضى الملقَّب بـ **عَلَمِ الهدى** *، في أوائل القرن الخامس الهجريّ، بالعربيّة. كان للكتاب اسم آخر هو **جُمَل العقائد**. وضع الشريف المرتضى هذا الكتاب بناءً على نصيحة أستاذه الشيخ المفيد (المتوفى في العام 413هـ)، لتعليم المبتدئين، وتذكراً للأساتذة (علم الهدى، 1405-1410هـ/1989م، ص9). وهكذا فإنَّ **جُمَل العلم والعمل** كتابٌ تعليميٌّ، وكان السيّد المرتضى نفسه يدرّسه (← نفسه، 1414هـ/1993م، ص37). دوّن الدروس الأولى من الكتاب (قسم العقائد) أحد تلامذة المرتضى، وهو اليوم بعنوان **شرح الشريف المرتضى لجُمَل العلم والعمل**. وقد شرح تلميذا المرتضى الشيخان الطوسيّ والكراچكيّ، قسم العقائد من الكتاب (← الطوسيّ، 1380هـ/1960م، ص189؛ النجاشيّ، مج1، ص403؛ ابن شهر آشوب، ص118-189؛ الحرّ العامليّ، مج2، ص287). طُبِع شرح الطوسيّ الذي سَمَّاه النجاشيّ (م.ن، ص.ن) **تمهيد الأصول** *، برعاية عبد المحسن مشكوة الديني في العام 1403هـ/1983م في طهران، لكنَّ شرح الكراچكيّ غير موجود. رجَّح عبد الحسين الحائريّ (مج5، ص15-17) أن يكون الشرحُ المنسوب إلى الشريف المرتضى هو نفسه شرح الكراچكيّ، لكنَّ جعفري المراغي، استدللّ بشواهد على أن مدوّن شرح الشريف المرتضى، كان الشيخ الطوسيّ (← علم الهدى، 1414هـ/1993م، المقدمة، ص25-26). يرى مشكوة الديني أن كتاب الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد للشيخ الطوسيّ خلاصةٌ لكتابه **تمهيد الأصول** (← الطوسيّ، 1403هـ/1983م، ملاحظات مشكوة الديني، ص404). لقد أحال الطوسيّ في كتاب **الاقتصاد** مرّات إلى **تمهيد الأصول** (على سبيل المثال ← ص159، 168، 173، 186). ابن البرّاج أيضاً، تلميذٌ آخر من تلامذة الشريف المرتضى، شرح أيضاً قسم الأحكام الفقهيّة من الكتاب، وقد طُبِع هذا الكتاب برعاية كاظم مديرشانه جي في صفر 1394هـ/ آذار-مارس 1974م في مشهد.

الجُمَل بمعنى الحبل الغليظ (ابن منظور، مادة "جُمَل")، وحبال السفينة الغليظة (← الزمخشريّ، مج2، ص103، الطبرسيّ، مج4، ص645؛ أيضاً ← دهخدا، مادة "جُمَل/ جُمَل") وعلى هذا الأساس يكون اسم الكتاب بمعنى حبل العلم والعمل الشديد والغليظ. منذ القرن الثالث وحتى الخامس الهجريّين أُلِّفت كتبٌ استخدمت في عناوينها كلمة **جُمَل** منها: **الجُمَل في الإمامة**، من تأليف إسماعيل بن إسحق بن أبي سهل بن نوبخت (النجاشيّ، ص31)؛ **جُمَل الفرائض**، من تأليف الشيخ المفيد (م.ن، ص399)؛ و**الجُمَل والعقود**، من تأليف الشيخ الطوسيّ. وفي الكتب التي تحمل عنوان الجُمَل أورد مؤلّفوها المواضيع الأساسيّة، وتماشوا ذكر الفروع.

جمع السيّد المرتضى في هذا الكتاب الأحكام الشرعيّة التي لا يستغني عنها المكلف أبداً، والتي من الضروري الاعتقاد بها (ما يَجِبُ الاعتقادُ به)، كما ذكر في القسم المختصّ بالعقائد، أدلّة كلّ عقيدة، ربّما بسبب أن الاعتقادات لا تُكتسب من طريق التقليد، وعلى المكلف أن يؤمّن بها بالدليل والبرهان لا بالتقليد.

يتألف هذا الكتاب من جزأين أساسيين: الجزء الأول في العقائد، والجزء الثاني في الأحكام الفقهية. يقول الآغا بزرك الطهراني (مج5، ص144)، إن الجزء الأول يقسم إلى ستة أقسام: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد، والآجال والأرزاق والأسعار؛ لكنّ نسخ الكتاب المطبوعة كلّها لا تتضمن قسم المعاد، كما أنّ بعض النسخ المطبوعة لا تتضمن فضلاً عن قسم المعاد، قسم الآجال والأرزاق والأسعار (على سبيل المثال ← علم الهدى، 1405-1410هـ/1984-1989م، مج3، ص12). وبما أنّ الشريف المرتضى قال في بداية الكتاب (1405-1410هـ/1984-1989م، مج3، ص9)، إنّهُ لن يتطرق إلّا إلى المسائل التي يواجهها الجميع (عموم البلوى بها)، لم يتطرق في الجزء الفقهيّ من الكتاب إلّا إلى ثلاثة مباحث مهمّة هي الصلاة، والصوم والحجّ والزكاة -المذكورة في المصادر الحديثية الشيعية والسنية بعنوان "دعائم الإسلام" (← الكليني، مج2، ص18-24) و"أركان الإسلام" (← النووي، مج1، ص176) - ولم يتطرق كما يقول ابن البرّاج (ص54) إلى سائر الشرعيّات كالمعاملات والديّات وغيرها؛ وقد أورد كلّاً من باب الطهارة الذي هو مقدّمة لمبحث الصلاة، وباب الجنائز وهو فرعٌ من فروع مبحث الصلاة، وباب الاعتكاف وهو من ملحقات بحث الصوم، بصورة منفصلة، فصار مجموع أقسام الكتاب سبعة. أكّد المؤلّف في خاتمة الكتاب، من جديد على القاعدة التي التزم بها في الجزء الفقهيّ، وبالنسبة إلى المباحث الفقهية المفصلة، أحال القارئ إلى كتابه الفقهيّ المفصل المصباح. على هذا الأساس، لا وجود في كتاب جُمِلَ العلم والعمل لعدد كبير من الأبواب والفروع الفقهية (مثلاً، مبحث الخمس الذي شرح المؤلّف في ما يتعلّق به النظرة الخاصّة بفقهِ الإمامية في كتابه الانتصار، ص155).

ألّف السيّد المرتضى هذا الكتاب في أثناء حياة الشيخ المفيد (336-413؛ ← علم الهدى، 1405-1410هـ/1984-1989م، مج3، ص9)، بعد كتابيّهِ الكلاميّين المهمّين: الذخيرة والمللخص، وكتابه الفقهيّ المصباح، لأنّه يدعو في بداية الكتاب (م.ن، ص.ن) للشيخ المفيد أن يدمج الله توفيقه، وفي خاتمة الكتاب (م.ن، مج3، ص81)، يُحيل الباحث عن مسائل أخرى إلى الكتب المذكورة.

يذكر أفندي الإصفهانيّ (مج4، ص62) أنّ القاضي عبد الجبار الهمدانيّ (المتوفى في العام 415هـ)، المتكلّم المعتزليّ المشهور، قال بعد أن رأى الكتاب: "لو أنّ الشريف المرتضى لم يكتب شيئاً سوى هذا المختصر لظُلّ من لا يُلحق غُبارهُ بين الكتّاب". أبدأ كلّ من الشيخ الطوسيّ (على سبيل المثال ← مج1، ص98، 215) اهتماماً بآراء السيّد المرتضى الفقهية الواردة في كتاب جُمِلَ العلم والعمل، كما أنّه كان أحد مصادر المجلسي في تأليف بحار الأنوار (المجلسي، مج1، ص11).

رأى الآغا بزرك الطهرانيّ (م.ن، ص.ن) ثلاثَ نسخٍ خطيّةٍ من هذا الكتاب في مكتبات النجف الأشرف. كذلك هنالك نسخ خطيّة منه وشروح له محفوظة في مكتبة المشهد المقدّس الرضويّ في مشهد، وفي مكتبة آية الله العظمى المرعشيّ النجفيّ في قمّ، وفي مكتبة مجلس الشورى، والمكتبة المركزيّة في جامعة طهران (على سبيل المثال ← الحائريّ، مج5، ص16؛ دانش بجوه، مج15، ص4174-4175؛ فكرت، ص169؛ أفشار ودانش بجوه، مج8، ص476).

لهذا الكتاب طبعتان: إحداهما بإشراف السيّد أحمد الحسينيّ، طُبعت في العام 1386هـ/1966م في النجف الأشرف، وأعيدت طباعتها في العام 1405هـ/1984م مع رسائل المرتضى الأخرى بعنوان رسائل الشريف المرتضى، وطبعة أخرى بإشراف رشيد الصفّار في العام 1387هـ/1967م في النجف أيضًا.

المصادر والمراجع: الآغا بزرك الطهرانيّ؛ ابن البرّاج، شرح جُمَل العلم والعمل، ط. كاظم مدير شاناه جي، مشهد 1352ش [1973م]؛ ابن شهر آشوب، معالم العلماء، النجف 1380هـ/1961م؛ ابن منظور؛ إيرج أفشار ومحمّد تقى دانش بجوه، فهرست نسخه های خطی کتابخانه ملی ملک [فهرس مخطوطات مكتبة ملك الوطنية]، مج8، طهران 1369ش [1990م]؛ عبد الله بن عيسى أفندي الإصفهانيّ، رياض العلماء وحياض الفضلاء، ط. أحمد الحسينيّ، قم 1410هـ/1989م؛ عبد الحسين الحائريّ، فهرست کتابخانه مجلس شورای ملی [فهرس مكتبة مجلس الشورى الوطنيّ]، مج5، طهران 1345ش [1966م]؛ الحرّ العامليّ؛ محمّد تقى دانش بجوه، فهرست نسخه های خطی کتابخانه مرکزی دانشگاه تهران [فهرس مخطوطات المكتبة المركزيّة في جامعة طهران]، مج15، طهران 1345ش [1966م]؛ دهخدا؛ الزمخشريّ؛ الطبرسيّ؛ محمّد بن الحسن الطوسيّ، الاقتصاد الهادي الى طريق الرشاد، طهران 1400هـ/1979م؛ نفسه، الفهرست، ط. محمّد صادق آل بحر العلوم، النجف 1380هـ/1960م؛ نفسه، كتاب الخلاف، قم 1407-1417هـ/1986-1996م؛ نفسه، كتاب تمهيد الأصول في علم الكلام، ط. عبد المحسن مشكوة الدينيّ، طهران 1362ش [1983م]؛ عليّ بن الحسين علم الهدى، الانتصار، في الجوامع الفقيّة، قم: مكتبة آية الله مرعشيّ النجفيّ، 1404هـ/1983م؛ نفسه، رسائل الشريف المرتضى، ط. مهدي رجائيّ، الرسالة 30: جمل العلم والعمل، قم 1405-1410هـ/1984-1989م؛ نفسه، شرح جُمَل العلم والعمل، ط. يعقوب جعفريّ المراغيّ، [طهران] 1414هـ/1993م؛ محمّد آصف فكرت، فهرست الفبائی كتب خطی کتابخانه مرکزی آستان قدس رضوی [الفهرس الألفبائيّ لمخطوطات مكتبة المشهد المقدّس الرضويّ]، مشهد 1369ش [1990م]؛ الكلينيّ؛ المجلسيّ؛ جعفر بن الحسن المحقّق الحلّيّ، المعتبر في شرح المختصر، مج1، قم 1364ش [1985م]؛ أحمد بن عليّ النجاشيّ، فهرست أسماء مصنّفی الشيعة المشتهر برجال النجاشي، ط. موسى شبيري الزنجانيّ، قم 1407هـ/1986م؛ يحيى بن شرف النوويّ، صحيح مسلم بشرح النوويّ، بيروت 1407هـ/1987م.

/السيد علي الطالقاني/